Didactique du Français

Semestre: 2

مادة اللغة العربية
تحليل الخطاب الروائي
(التطبيق)

الأستاذ رضوان بوخالدي

الاستشرافات:

وتعد قليلة في الفصل الأول إذا ما قورنت بالاسترجاعات ، إذ لم تتعد أسطرا قليلة مثل:

«كنت أعرف أن الوضع سيتغير حتما عندما أنتهي من رسالة الدكتوراه...» ص:10.

وهي تبرز طموحات أمجد وآماله، التي تساعده على الكفاح والاستمرار في نفس المشوار، كما تعكس بعض خلجات نفسه.

كما ورد استشراف مهم قبل ذلك في رسالة بلال، وقد شكل هذا الاستشراف دعما نفسيا قويا للشخصية بلال، لكي يتحدى مرضه، ويتطلع إلى الأثر الإيجابي الذي قد يحدثه فيلم يحمل اسمه على صورته بين أقرانه.

وقد استمر الورود القليل للاستشرافات على طول المتن الروائي:

الاستشرافات الخارجية:

«أحاول أن أتخيل أني سأقف يوما لأقص لأمهات أطفال السرطان كيف تمكنا أنا وبلال من عبور العاصفة» ص: 58.

«فكرت في عيد الميلاد القادم، سيكون بلال قد رحل...» ص: 118.

الاستشر افات الداخلية:

«لم يخطر ببالي أن هذا ال(بلال) الذي يتحدث عنه سيغير حياتي وحياة ابني لاحقا» ص: 19.

«سأقترح على أمجد أن يكون الفيلم بالأسود والأبيض...» ص: 114.

«قلت لها سأقرر في نهاية الأسبوع» ص: 158.

«لا بد أنه سيسألني ذلك السؤال...» ص: 169.

«سأقول له أنه لا إله...» ص: 181.

محكي أفكار استشرافي:

«مسكينة أمي...» ص: 173.

استشراف بطعم التشويق:

«التفت إلى بلال.

خيل إلي أن ثمة دمعة في عينيه.

لم أفهمها.

إلى أن قرأت ما كتبه لاحقا، في الآيباد الخاص به.

وعرفت بعدها ما علي أن أفعله مع بلال.» ص: 201.

«لم أكن أعلم أن بلالا، بينما أنا غارق في أفكاري، كان قد كتب ما سيجعلني أحسم أمري» ص: 233.

استشراف التعاقد التربوي:

«لكن بعدها سنطوي الصفحة، لن نبقى نجترها...» ص: 204-205.

تقوم هذه الاستشرافات على قلتها بعدة وظائف، من بينها:

- استشرافات تفتح أبواب الأمل أمام الشخصيات، وهي الآمال التي تفسر كفاحها وصبرها في سبيل تحقيق طموحاتها.
- استشرافات تعكس التردد بشأن المستقبل، وكيفية تدبير بعض إكراهاته ومزالقه...
- استشرافات في شكل تعاقدات بين الشخصيات، أو كشف عن العزم على فعل أو ترك فيما يستقبل من الأيام.
- إضاءة بعض مجريات الحدث في الرواية، والكشف عن بعض المصائر، من خلال انتظارات وتوقعات لا تلبث أن تتحقق.
- إذكاء عنصر التشويق ووضع المسرود له في حالة ترقب للآتي من نجاحات أو خيبات.

يمكننا أن ننبه في النتيجة على أن المفارقات الزمنية، وخاصة الاسترجاعات لا تتجلى فقط في تقنية التلخيص، على سبيل السرد السريع لذكريات من الماضي، وإنما تصير في بعض الأحيان – كما قال جنيت بصدد بروست -مشاهد حقيقية، أو مشاهد يتخللها الوقف الوصفي. وهو ما سنرجع إليه لاحقا عند دراسة علاقات المدة.

2-2- علاقات المدة:

تتسم هذه العلاقات في أغلبها باللاتو اقتات (Anisochronies)، وينبه ج. جنيت إلى أن الصعوبات التي تعترض زمن الخطاب في الأدب المكتوب تتجلى بشكل أوضح في علاقات المدة،

«لأن وقائع الترتيب أو التكرار، يسهل نقلها دونما ضرر من الصعيد الزمني للقصة إلى الصعيد المكاني للنص: فالقول إن الحدث (أ) يأتي بعد الحدث (ب) في التنظيم التركيبي لنص سردي، أو إن حدثا (ج) يروى فيه مرتين قول بقضيتين معناهما واضح.[...] ومن ثم، فالمقارنة بين الصعيدين شرعية وملائمة. وبالمقابل، تطرح مقارنة زمن القصة بزمن الخطاب الذي يرويها صعوبات أكثر. وذلك بسبب استحالة قياس زمن خطاب معين، والذي لا يمكن أن يكون غير الزمن الضروري لقراءته. غير أنه يتضح أن أزمنة القراءة تختلف حسب الفروقات الفردية، و أنه - على خلاف ما يحدث في السينما، أو حتى في الموسيقى – لا شيء يمكننا من تحديد سرعة عادية للأداء».

(G.Genette: Figures III, p: 145-146)

وهكذا يتم تحديد سرعة السرد بالعلاقة بين مدة (هي مدة القصة، والتي تقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهوروالسنين) وطول (هو طول النص، والذي يقاس بالسطوروالصفحات)، ومن تم تكون الحكاية المتواقتة هي درجة الصفر المرجعية الافتراضية، وقد قلنا افتراضية نظرا لصعوبة الإمساك بهذه الحالة في الواقع التجريبي، وهو ما ينطبق على المشهد الذي يقترب بشكل كبير من درجة الصفر المرجعية دون أن يطابقها تماما. (G.Genette: Figures III, p: 147-148)

يمكننا إذن تخطيط القيم الزمنية لأربع حركات أساسية بواسطة صيغ رياضية مضبوطة، يدل زق على زمن القصة، وزخ على زمن الخطاب الذي ليس إلا زمنا كاذبا أو زمنا عرفيا:

الوقف: زخ = ن، زق = 0. pause : TR = n, TH = 0. Donc : TR ∞ > TH

المشهد: زخ = زق. scène : TR = TH

الخلاصة : زخ < زق. sommaire : TR < TH

الحذف: زخ = 0، زق = ن. ellipse : TR = 0, TH = n. Donc : TR < ∞ TH.

ويمكننا جمع وتبسيط علاقات المدة الأربع في الخطاطة التالية:

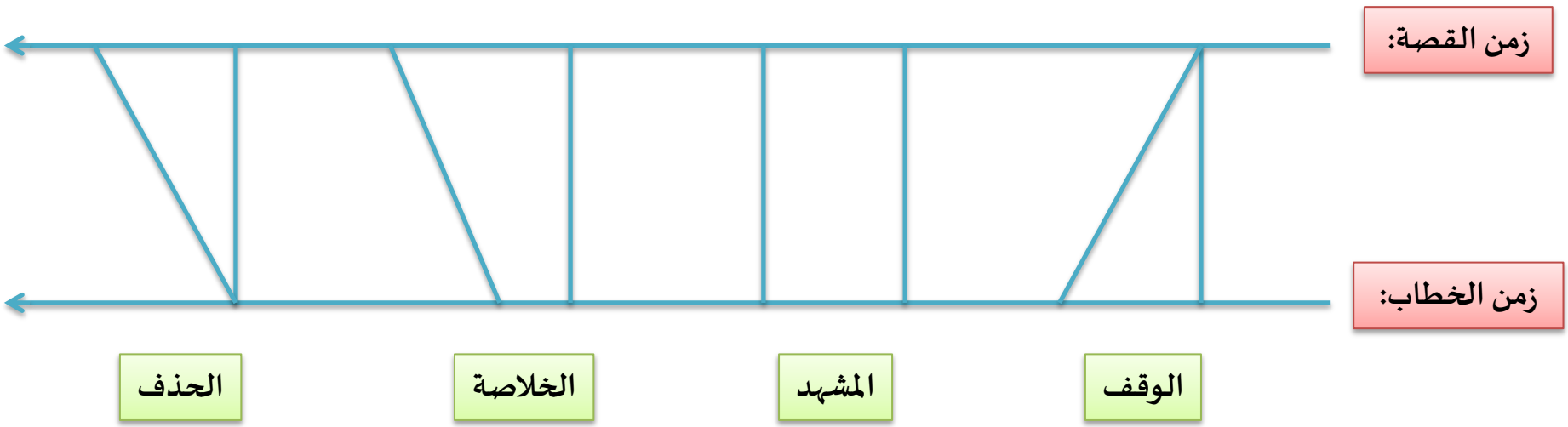

أ- الوقف:

الوقف انقطاع للسرد لصالح الوصف الذي يتخذ أربعة تجليات كالآتي:

المقاطع الوصفية الجلية: تؤدي إلى توقف كامل لزمن القصة، غير أنها في «شيفرة بلال» تأتي مفعمة بتأملات البطل، فيتداخل الوقف الوصفي بالوقف التأملي، مما يجعل زمن القصة يؤول إلى الصفر دون أن ينقطع تماما كما في النماذج التالية:

«جاءني يومها عبدول...

بدا لي ذلك مثيرا للشفقة.

وبلا أمل» ص: 10-11.

كان من السهل ... ص:143.

في دالاس... مثل مشاعر الأبوة ص: 217.

بمكننا الاستنتاج من هذه النماذج خلو الرواية من الوصف الخالص أو الطويل، لصالح الوصف المتقطع والمشوب بالوقف التأملي، أو الوصف المتداخل مع التتبع التفصيلي للأحداث.

الأوصاف السريعة والمقتضبة: أي تلك الأوصاف التي لا ترتبط بلحظة خاصة، كما لا تتصل بشخص بعينه أو بشيء معين. إنما ترتبط بسلسلة من اللحظات المتتابعة. وهي نموذج للمقابل المفقود في اقتراح جنيت، والذي يمكن أن نصطلح عليه التوسيع، لأن هذا النمط غالبا ما يأتي مصاحبا للمشهد، فيؤدي إلى تبطيء متعمد له. فلا هو وقف خالص، ولا هو مشهد صريح، فهو خليط منهما...

«قالت لي الممرضة بيتي المبتسمة دائما

...شكرا على السؤال.» ص: 114.

«بدا صوتها متأثرا جدا هنا ...

...أريد أن يبقى شيء منه في هذا العالم.» ص: 213-214.

الوصف المادي/المعنوي:

الوصف المادي	الوصف المعنوي
كانت ماغي بدينة جدا ص: 59 صالة المطار المزدحمة ص: 241	تأقلمت مع بدانتها على نحو مريح،... كانت أيضا مرحة، كأغلب البدينين، ص: 59 نعم كانوا أصدقاء رائعين، ومشاعرهم كانت صادقة ص: 58 رأيتها تحتضنه بحنان ... ص: 241

لا مجال للمقارنة بين حجم حضور الوصف المعنوي مقارنة بنظيره المادي، رغم أنهما يردان متداخلين في الغالب، غير أننا نسجل هيمنة واضحة للوصف المعنوي المتصل أساسا بما تحمله الشخصيات من قيم، وما تدافع عنه من مو اقف، وما تجيش به من عواطف وأحاسيس. في حين لا يرد الوصف المادي إلا في جمل سريعة وعابرة.

الوصف الذاتي/الموضوعي:

الوصف الموضوعي	الوصف الذاتي
كانت تمطر بهدوء... ص:118 قالت لي بسرعة وبصوت خفيض ص: 213 تلعثم وازدرد ريقه ص: 224 وضعت ذراعيها على عنقي تحاول أن تحتضنني ص:320 تراكضت الممرضات حولي وحوله ص: 370	وضع على وجهه ابتسامة فكرت معها أن الأمر قد يكون حتى أخطر من المعتاد ص: 88. كانت جميلة على نحو لافت... عيناها كانتا واسعتين، ذكيتين، فيهما حزن عميق. وفيهما شيء مألوف جدا... ص: 191 كان التعرض لأضواء السيرك الذي اقتحم حياتنا يشبه عملية (تعري) أمام الملأ. لكنها عملية (تعري) داخلية، أعري فيها مشاعري ، مخاوفي، أدق تفاصيل مشاعري. ص: 339 نظرت إلى مستر ويد، بدا لي كما تخيلت أمية بالضبط ص: 316

يمكن أن نسجل هنا أيضا غلبة واضحة للوصف الذاتي، شخصيات في حالة تحول، وفي وضعيات مشحونة فكريا وعاطفيا، تنظر إلى الأشياء والذوات حولها بكثير من التحيز في المشاعر والتصورات، وبقليل من الحياد والبرود.

ب- المشهد :

إذا كانت الفصول الثلاثة الأولى يمكن أن تتحدد باعتبارها استرجاعات طويلة، فإن أغلب فصول الرواية يمكن تحديدها باعتبارها مشاهد، وذلك بالنظر للحضور المهيمن لتقنية المشهد في ضبط الإيقاع الزمني النص.

للمشهد - باعتباره توا قتا نسبيا بين زمن الخطاب وزمن القصة- تحققين نصيين هما:

1- التعقب التفصيلي للأحداث.

2- الحوار الثنائي والمتعدد.

❖ التعقب التفصيلي للأحداث:

«أطرق برأسه، ونظر إلى الكأس مجددا، هذه المرة رفعه إلى شفتيه وشرب الباقي دفعة واحدة، ثم قال:...» ص: 96

«دخل سعيد القاعة من الجهة الأخرى...

خطوة خطوة اقترب سعيد...

وقفت ومددت يدي...

مد يده وصافحني...

بقي بلال جالسا ولم يتحدث.

جلس سعيد دون أن يقول كلمة...» ص: 223-224.

يتضمن هذا المقطع تحققا نموذجيا لتقنية التعقب التفصيلي للأحداث، وقد ساهم الوقف الوصفي المتقطع الذي يصاحبه لحظة بلحظة في إبطاء زمن الخطاب ليتناسب مع زمن القصة.

وهو تماثل نسبي، لأن زمن القصة أو الحدث المتضمن تقديري، وزمن الخطاب صعب قياسه.

❖ **الحوار:**

وهو التقنية المهيمنة على المشهد داخل المتن الروائي بلا منازع، إذ نجد له تحققات متعددة، الحوار الثنائي وهو الغالب، ثم الحوار الثلاثي، والحوار المتعدد الذي ينقل أجواء النقاش التربوي داخل القسم (الصف العاشر) الذي تشرف لاتيشا على تدريسه.

نقدم هنا بعض النماذج على سبيل التمثيل:

- **الحوار الثنائي:** - مشهد الحوار بين أمجد وعبدول ضمن الاسترجاع من الفصل الأول. ص: 13- 14
- مشهد الحوار بين أمجد وعبدول حول الإلحاد ص: 94-95-96.
- مشهد الحوار بين لاتيشا والمدير حول جدوى تدريس رواية جذور. ص: 88-89.
- مشهد الحوار بين لاتيشا وأمجد في أول لقاء بالمدرسة. ص: 192...196.
- مشهد الحوار بين أمجد وبلال حول قرب الأجل ومعنى الأثر. ص: 214...216
- مشاهد الحوار بين أمجد وكريستين، وخاصة آخرها بالصفحات 319...322.
- مشاهد الحوار بين لاتيشا وماغي، مباشرة وعبر الهاتف.
- مشاهد الحوار بين لاتيشا و ابنها بلال.
- مشاهد الحوار بين لاتيشا والأطباء المعالجين لبلال.

... ...

وهذا فضلا عن الحوار الإلكتروني الممتد على طول المتن الروائي، وذلك عبر رسائل البريد الإلكتروني المتبادلة بين أمجد وبلال.

- **الحوار الثلاثي:**

مشهد حواري بين مدرسات حول اعتبارات اختيار نصوص بعينها:

«قالت لي ماغي: جاتسبي العظيم انتصر على موبي ديك...

عدت إلى جاتسبي وسألتها: جاتسبي للصف التاسع؟ أليس هذا صعبا عليهم...

قالت: صحيح، سأطلب منهم أولا مشاهدة الفيلمين اللذين اقتبسا عن الرواية...» ص:59-60.

- **الحوار المتعدد:**

مشاهد المناقشة داخل القسم بين طلاب الصف العاشر وأستاذتهم لاتيشا، تعكس التداول البيداغوجي الحر حول القضايا والقيم التي تطرحها رواية «جذور». نأخذ من هذه المشاهد النموذج التالي:

« وجدت أني أسأل الطلاب ما إن انتظموا في أماكنهم: ما الذي تعتقدون أنه كان أمنية حياة كونتا كنتي؟

قالت ليزا:...

قال بوبي:...

رد جاك الضربة:...

قال فريدي:...

قال كيفن:...

قلت لهم:...

قالت ليزا:...

قال حكيم:... ... ...» ص: 182...187. **أي كل الفصل 26 تقريبا.**

يظهر جليا من هذه النماذج هيمنة المشهد على البنية التركيبية لرواية «شيفرة بلال»، إذ نجد تنوعا لأشكال الحوار بشكل يند عن الحصر والتتبع.

ب- الخلاصة :

تتجلى الخلاصة في الرواية في إطار الاسترجاعات السالفة الذكر، حيث تلخص الشخصية سنوات من ماضيها في أسطر معدودة كما في النماذج التالية:

«كنت عالقا في كل هذا، في كل حياتي، في الدكتوراه، في أقساط الماجستير، في حلمي بأن أكون أستاذا لامعا في جامعة كولومبيا...، في علاقتي بكريستين التي أعلاف تماما أنها لا تحبني كما أحبها أنا، وربما لا تحبني على الإطلاق، لكنها فقط تقضي وقتا ممتعا معي، ولن يرف لها جفن يوم تقرر تركي...» ص:9.

«لم يدم وضع سعيد (الطيب) كثيرا، أيام فقط، لم تتجاوز العشرة.. ثم اختفي النور تماما من وجهه. تدهور وضعه خلال الأشهر التالية كثيرا.. زادت مشاكله، وزاد سكره، وأعتقد أنه لم يعد يتعاطى فحسب، بل صار جزء من شبكة توزيع مخدرات...

ثم خرج.. و(لم يعد).

لم يعد أبدا، ولا حتى ليرى بلال.

لا أزال أحبه قليلا، رغم كل شيء...» ص: 19-20.

«كل يوم كان أسوأ مما سبقه، كل أسبوع كان أسوأ من الذي سبقه...
ثم، تقريبا من الشهر الثالث أو الرابع لدخولي المدرسة، صرت أنام كل ليلة وأنا أتخيل جون ومايك وهما يموتان.» ص: 26.

تتجلى الخلاصة أيضا في ضغط زمن القصة في حيزورقي محدود بهدف تجاوزالتفاصيل المملة أوغير المفيدة في تنامي الحدث و تطوره:

«دخل الدكتور تشونغ في مقدمة عن تاريخ الحالة المرضية لبلال منذ أن اكتشف فيه السرطان. ثم دخل في أنواع سرطان الدماغ وتصنيفها...»ص: 115.

«خرجت وسكرت مع عبدول ...
صباحا قضيت اليوم في إعطاء المحاضرات وأنا شارد...
تسكعت بعد الظهيرة أمام المطعم...
مر المساء بطيئا،...
اليوم الثاني كان أسوأ بكثير...
في اليوم الثالث وصلت رسالة منها ...
انتهيت لأكون جليسا لكلبها.» ص: 126

تم تلخيص ثلاثة أيام من الهجر في صفحة واحدة.

كما تجلت الخلاصة أيضا في إجمال ما تم تفصيله سابقا، يحدث هذا في الفصول الأخيرة للرواية، أو لتجنب الإطناب بالنسبة للفصول المتوازية زمنيا:

«عندما أخبرتني لاحقا عن مشاكلها مع المدير، وعن رواية جذور التي اختارتها لتدريس طلابها، ومواجهتها للمدير في ذلك، وعن محاولته استغلال المشاجرة بين الطالبين لتهديدها والضغط عليها، شعرت أن لاتيشا تضم جوانب أخرى» ص» 274.

«عادت لي كل السنوات السابقة أيضا، منذ أول مرة قام فيها جون بإطلاق أول لقب علي، منذ أول مرة أضحك الصف علي، منذ أن وضع الفيديو الذي خرجت فيه راكضا من تواليت الفتيات على الأنترنيت» ص: 303.

ب- الحذف:

ينقسم الحذف إلى: - الحذف اللفظي المحدد: مثلا (بعد يومين، مرت سنة...).

- الحذف اللفظي غير المحدد: مثلا (أسابيع ثم، بعد أيام، بعد سنوات...)

- الحذف غير اللفظي على شكل بياض.

- الحذف غير اللفظي على شكل علامات (نجيمات، دوائر، مربعات، نقط...)

إذا طبقنا هذا التقسيم النظري على الرواية نسجل ندرة الحذف اللفظي بنوعيه، نقف على مثال واحد «بعد قرابة شهرين من وفاة بلال، استيقظت لاتيشا صباحا...» ص: 372.

في مقابل الحضور القوي للحذف غير اللفظي، وخاصة النوع الثاني والذي جاء هنا حذفا غير لفظي على شكل مربعات.

تبعا للنموذج أسفله لا ندري مقدار الزمن المحذوف، نحن أمام فضاءين مختلفين، لاتيشا تشرح وضعية ابنها الحرجة لمجموعة دعم أمهات أطفال السرطان، ثم مربعات حذف لنجد أنفسنا في فضاء المدرسة. لا نستطيع تخمين مقدار الحذف، هل كان يوما أو أكثر؟، أم كان مسافة الطريق بين مجموعة الدعم والمدرسة؟.

أحببت أن أوضح لهم السبب، كي لا يبني أحدهم الآمال على غيابي ويتخيل أن بلالاً هزم السرطان.

لا، لقد هزمنا.. كما يحدث مع الكثيرين..

كل ما في الأمر أن وجود نسب نجاة عند البعض تجعلهم يواصلون، يحاولون، يقولون إن لديهم فرصة أن يكونوا من ضمن الثلاثة من عشرة.

نحن عرفنا أن لا داعي للمواصلة.

صفر بالمائة.

❐ ❐ ❐

نظرت لي ماغي مطولاً، وقالت لي بود: ماذا قررتِ، لاتيشا؟

كنا في قاعة الطعام، نتناول الغداء. أخذتني ماغي إلى طاولة منعزلة قليلاً، ربما كي تسألني هذا السؤال.

كنت ساهمة فعلاً. سألتها: قررت بخصوص ماذا؟

"تعرفين، بخصوص بلال، هل ستخبرينه".

تقوم هذه المربعات بوظيفتين:

- وظيفة الحذف الغير محدد، كما رأينا في هذا النموذج، وهذا نادر في الرواية.
- وظيفة الكولاج الروائي، وذلك عن طريق الفصل بين لحظات متلاحقة ومؤثرة في مسار الأحداث، دون إيلاء أهمية كبيرة لمنطق الزمن، وهو ما يعطي الانطباع للقارئ أنه بصدد لقطات متناثرة عليه لـمُّ شتاتها، وبذل مجهود تأملي إضافي للربط والتأويل وتوليد الدلالات. وهذه الوظيفة هي التي تتواتر بشكل كبير داخل المتن الروائي.

يمكن أن نتحدث بصدد علاقات المدة عن الاستنتاجات التالية:

- قلة الوقف، خاصة الوصف بالمعنى المتداول في التقاليد الروائية، وذلك بالنظر إلى حجم الرواية (376 صفحة)، فلا وجود لوصف يشغل صفحات من المتن الروائي. وإنما مقاطع قصيرة متفرقة وخاطفة، ولا تستقل بحيزورقي خالص لها من دون المشاهد الروائية أو محكيات الأفعال. إذ غالبا ما يخترق الوقف الوصفي المشاهد الحوارية ليضفي عليها حيوية وحضورا يُصَعِّد من الوتيرة الدرامية للمشهد. ومن تم يقوم الوقف بوظيفة تكميلية وثانوية.
- هيمنة المشهد بشكل لافت لنظر الباحث، إذ لا يكاد يخلو منه فصل من الفصول الثلاثة والستين. كما أن هناك فصولا عبارة عن مشاهد حوارية خالصة، إلا من بعض الوقفات الوصفية المصاحبة. فيسهل قراءتها مشهديا على غرار النصوص المسرحية، بحيث يمثل المشهدُ الحوارَ المسرحي، بينما يقوم الوصف بوظيفة الإرشادات المسرحية أو ما يطلق عليه (الديداسكالي). يقوم المشهد إذن بوظيفة أساسية ومهيمنة داخل المتن الحكائي، ألا وهي أدرمة الحدث. كما تدل غلبة الحوار على كافة التقنيات المتصلة بالإيقاع الزمني على انفتاح الراوي/الرواة، وتنازلهم

عن الكلمة للشخصيات التي تشارك في المشهد، وهو ما يكشف شكليا عن حرية التعبير التي يتبناها النص.

وهذا فضلا عن التنوع الكبير في أشكال حضور الحوار من حيث عدد المشاركين فيه، فنجد الحوار الثنائي والثلاثي والمتعدد، كما نجد غنى لأنواع الحوار من حيث قناة الاتصال المستعملة، كالحوار المباشر والحوار عبر الهاتف والحوار الإلكتروني، كما تتنوع تيماته وأهدافه مثل الحوار الحجاجي الإقناعي، والتربوي البيداغوجي، والتصارعي العنيف، والعاطفي التضامني...

- ساهمت الخلاصة في تقليص زمن الخطاب، خاصة عندما يتعلق الأمر بالاسترجاعات، كما عملت على إجمال بعض التفاصيل الثانوية، إضافة إلى اختصار ما تم ذكره سلفا تجنبا للتكرار المعيب والإسهاب الممل.
- تفتقر الرواية لتقنية الحذف بمعنى القفز على السنوات والشهور...، بينما تحضر بشكل متواتر في صيغة الحذف الغير اللفظي، والذي جاء منزاحا عن وظيفته التقليدية المتمثلة في حذف مقدار زمني معين طال أم قصر. إنه يحضر أساسا ليفصل بين اللقطات الخاطفة، كما يحضر لترتيب الفصول المتوازية، والمتضمنة لأحداث متزامنة داخل زمن القصة.

يتبع